

مدينة الحسيمة بشمال المغرب جوهرة البحر الأبيض المتوسط

الحسيمة: نجيب خليفة

إن مدينة الحسيمة المغربية أو (نكور القديمة، كما كانت تسمى) فرضت وجودها بين المدن المغربية ذات الطابع السياحي بكل ما للسياحة من معنى، وهذه المدينة ليست حديثة الإنشاء بل هي معروفة منذ العصر الوسيط، حيث كانت تمثل عاصمة إمارة (بنو صالح) أولى الإمارات المغربية.



أحد شواطئ الحسيمة

ما دونه المؤرخون حول الحسيمة

والشمولية هو المؤرخ (البكري)، حيث حدد مسارها التاريخي مع وصف شامل لكل ما تزخر به من منشآت وخيرات ساعدتها على الرقي والاستمرار. تم تحديد موقع المدينة على بعد كيلومترات مما يسمى حالياً (سوق إثنين بني بوغياش) وذلك ما بين الطريق الوطنية الحالية للحسيمة- الناظور وواد نكور، على بعد 12,5 كلم بخط مستقيم على الساحل، و 14 كلم من موقع (المزمة). وما زال شكل (المزمة) يحتفظ بذكريات المدينة المفقودة، كما أن الموقع تعرض للحفريات عدة مرات وكشف عن مجموعة من الآثار سواء العمرانية أو الخزفية وغيرها.

وصفت هذه المدينة الموجودة على مشارف خليج هادئ بالمنطقة الشمالية للمملكة المغربية على البحر الأبيض المتوسط، من طرف بعض المؤرخين، كما هو الحال لمدن العصر الوسيط، حيث كتب عنها العلامة (الإصطخري) خلال القرن 10م، أنها كانت مدينة كبيرة على شاطئ البحر الأبيض المتوسط، وبها ميناء يؤمن حركة نقل المسافرين والبضائع. كما كتب عنها بعد قرن من ذلك (ابن حوقل) حيث وصفها بالمدينة المهمة جداً، وتتوفر على إمكانيات كبيرة، و بها أطلال وميناء يعرف بـ (المزمة) ترسو به السفن. غير أن من كتب عنها بالتفصيل



أحد أحياء الحسيمة



أسواق للنساء خاصة تنفرد بها الحسيمة

هذا وهي : اكني، اسويقن، ايت قمره، أما السوق الرابع اثنين أزغار فيعد أهم هذه الأسواق على الإطلاق بعد ترميمه وإحيائه من جديد، وقد اختلف المؤرخون على تحديد الحقبة الزمنية التي يرجع إليها تأسيسه، غير أن جل الدراسات تؤكد وجوده خلال القرن التاسع عشر الميلادي، ويقع السوق بتراب جماعة آيت يوسف وعلي، على هضبة يمين الطريق المؤدية إلى مدينة أمزورن، على بعد 10 كلم من مدينة الحسيمة و5 كلم من مدينة أمزورن، قرب قنطرة وادي غيس. ويعتبر همزة وصل بين نساء مجموعة من الدواوير : أزغار، أجدير، سيدي بوعفيف، السواني، آيت علي، أحاورن، تيجرت، آيت هشام، أندوسن، أصريحن.

من أهم التقاليد الثقافية والتاريخية التي ينفرد بها إقليم الحسيمة بالمملكة المغربية، هي ما يسمى بالأسواق النسائية حيث شهد الإقليم إنشاء مجموعة من هذه الأسواق في فترات تاريخية متفاوتة مثل اثنين اصريحن، وجمعة إغميرن، وسبت ايت قمره، وثلاثاء اسواتي، وأحد اسويقن، واصلحيون، وثلاثاء أكني بأيت بوفراح، واثنين أزغار. وكانت هذه الأسواق لا يلجها ولا يتاجر فيها إلا النساء، غير أن مجموعة منها توقف نشاطها لسبب أو آخر، وظلت أربعة أسواق تعرف رواجاً واسعاً إلى يومنا

ما دونه المؤرخون حول الحسيمة

وتعتبر مدينة بادنس مركزا للتصوف في عهد إمارة (أبو صالح) ومندى للتجارة بوجود مرساها للنشيط. وما زالت آثار بادنس بادية للعيان على الساحل المتوسطي غرب الحسيمة.

الزاوية العلوية والإشعاع الديني

تشكل زاوية الطريقة العلوية أحد أبرز معالم قرية إمزورن التابعة لمدينة الحسيمة. أسسها مجموعة من الفقراء العلويين في بداية الثلاثينات أمثال سيدي يوسف، وأخيه سيدي محمد والفقير سيدي اليزيد وغيرهم. وتقع الزاوية على بعد حوالي 18 كلم جنوب الحسيمة، بالقرب من مدينة بني بوعياش وبالضبط في مركز إمزورن قرب المسجد الكبير. وتعتبر هذه الزاوية من المؤسسات العلمية والدينية

حسب رواية المؤرخ والجغرافي (البكري) يوجد في الضاحية الغربية لمدينة الحسيمة (نكور) موقع مدينة بادنس التي أُنشأت هي أيضا في العصر الوسيط. وكانت مدينة أهلة بالسكان، وتتوفر على مرسى رسمي للجهة الغربية لإمارة (بنو صالح). إلا أن الجغرافي البكري لم يعط تفاصيل حول هذه المدينة خلال القرن 11م كما لم يشر إلى أهميتها خلال هذه الحقبة. كما كان يجهل إذا ما كانت أنشطتها قد بدأت خلال هذا القرن أو قبله. ويعد الجغرافي والمرخ (الإنريسي) أول من حدد موقع بادنس على بعد نصف يوم من موقع كركل وعلى مسافة 20 ميلا من بوسكور. وقد ذكر بأن ببادس عدة منشآت حضارية و أنها تحدها غمارة.



جزيرة نكور بالحسيمة

الكريم الخطابي وذلك بإغرائه ب7 ملايين دولار(في تلك الحقبة)، زيادة على أسلحة حديثة وجميع أنواع الذخيرة التي تمكنه من مقاومة الجيش الفرنسي مقابل التنازل عن خليج الحسيمة. لكن عبد الكريم رفض هذه المساومات، وأصدر أمرا يقضي بفرض غرامات على كل من يتفاوض مع الإسبان في هذه القضية المصيرية، كما هدد الإسبان بعدم اجتيازهم «وادي أمقران» وإلا سيتصدى لهم الأبطال الأثاوس من تسمان وبني توزين. وقد أثار هذا التهديد حفيظة سلبستري فاقترب من ظهار أبران في أواخر شهر ماي 1921 لمحاصرة الموقع، وجس النبض، بيد أن الريفيين تصدوا للجيش الغازي وألحقوا به هزيمة شنعاء. وتوجه الثوار بهجوم ضد مركز أبران فاقتحموه، وقتلوا جميع من كان به من ضباط وجنود إلا عددا قليلا استطاع الهروب، فالتحقوا إما بأنوال و إما بسيدي إدريس. وانتهت الحرب بانتحار سلفستري وموت الكولونيل موراليس الذي أرسل عبد الكريم جيشه إلى مليلية، لأنه كان رئيسه في إدارة الشؤون الأهلية سابقا.

التي أنشئت في إمزورن، وأدت دورا هاما وأساسيا في المحافظة على أصالة القيم الدينية والروحية والثقافية لهذه المنطقة. ولزاوية إمزورن تاريخ طويل وعريق، وتعد من أقدم الزوايا بالمغرب حيث كانت هناك زاوية بمكان يدعى أرابضا-ما زالت هناك أطلال تدل على تاريخيتها-كان يحضر إليها الفقراء من مختلف قرى ومدائر إمزورن وبني بوعياش. وبعد ذلك تم تحويل الزاوية إلى إمزورن.

أهل الحسيمة أبطال معركة أنوال

تعد معركة أنوال من أشهر المعارك في تاريخ البشرية، حيث انتصر أهل الريف شمال المغرب بقيادة محمد عبد الكريم الخطابي على إسبانيا بوسائل بسيطة على جيش عتيد بأسلحة متطورة فتاكة، وتمكنوا من قتل 25 ألف عسكري مستعمر. فحينما بدأت إسبانيا تعقد أملا على احتلال خليج الحسيمة بعد أن عقد المقيم العام الجنرال بيرينغير صلحا مع قبائل الريف، واستقبل بحفاوة من قبل الأعيان وبعض رؤساء القبائل، واتفق الجنرال بيرينغير مع رئيس الشرطة الأهلية بمليلية الكولونيل غبريل موراليس على التوجه نحو الريف للتفاوض مع المجاهد عبد



شاطئ الحسيمة

جهة الحسيمة خزان المواقع الأركيولوجية

ضريح (سيدي إدريس) فيضم آثار حصن إسباني عثر فيه المنقبون على بقايا تشهد على حرب الريف (التي خاضها المجاهد محمد عبد الكريم الخطابي ضد الإستعمار الإسباني). وتكمن أهميته العلمية، التي أثارت اهتمام المحافل الأكاديمية في السنوات القليلة الأخيرة، في اكتشاف موقع به، يعود إلى الفترة الفينيقية البونية، الممتدة ما بين القرنين السابع والرابع قبل الميلاد. وربما تعلق الأمر بمركز تجاري مهم، حيث أثبتت الحفريات التي أجريت وجود بنايات أثرية مازال بعضها مندما تحت القرية الحالية، بالقرب من ضريح سيدي إدريس الذي يبدو أنه أحد أبناء مؤسس دولة بني صالح. موقع آخر لا يخلو من أهمية تاريخية هو موقع (لمزمة) والذي يوجد مقابل نكور ويبعد عنها بمسافة 5 أميال.

إن مدينة الحسيمة لا تتميز فقط بشواطئها الجذابة ذات المواصفات العالمية والتي يستهواها السياح الوطنيين والأجانب، أو بسياحتها الطبيعية المتنوعة سواء منها البيئية أو القروية، بل تتعدى ذلك بتوفرها على مواقع أثرية وأركولوجية قلما تجدها في مدن أخرى من المملكة المغربية. ويعتبر موقع (نشار علا البوكر) من المواقع الأثرية التي عثر عليها مؤخرًا، وبالتحديد سنة 2001، قرب أحد المنازل. ويؤكد صاحبه أنه عثر خلال عملية البناء على عدة جثث، كما تم العثور على أعناق أمفورات وقطع من الخزف الإسلامي. وتدل قطع الأمفورات على أن إعمار الموقع يعود إلى القرن الأول قبل الميلاد. وقد يتعلق الأمر هنا بمنشأة فلاحية ومقبرتها. أما

لكنها خربت ولم يبق لها رسم. وما زالت بقايا سور المدينة وبعض اللقى الخزفية بادية بالقرب من لالة ميمونة، التي أثبتت الأبحاث الحديثة أنها كانت أحد رباطات ساحل المتوسط. ففي المنحدر الغربي لمرتفع لالة ميمونة توجد بقايا آثار مدينة مهجورة على مساحة تقدر بحوالي 2 هكتار. بنيت الأطلال المنبسطة على الارتفاع الأول بأحجار الوادي، ويصل ارتفاعها أحيانا إلى مترين. وهناك بناية تمتد في داخل المنطقة المسكونة، جدرانها مطلية من الجانبين، غير أن كل هذه الأطلال تبقى حديثة. أما المنازل فقد كانت مغطاة بالقرمود، كما يظهر ذلك من خلال القطع المتعددة الموجودة في الموقع. و يدل تواجد هذا الكم من الخزف على الأهمية التي كانت تشغلها هذه المنشأة الوسيطة ومكانتها في العلاقات التجارية المتوسطية. ونذكر كذلك الموقع المهم (القريّة و البرج) بقريّة مسطاسة التي ما زالت تضم مسجدا بني في الحكم المريني، وبقايا برج مميز. ففوق ثلثة مشرفة على البحر، وفي غرب مصب واد مسطاسة، توجد منشآت، منها جدران من الحجر المستوي على سطح الأرض، كما تضم العديد من قطع الخزف الإسلامي.

وكانت المزمة تمثل منفذا بحريا هاما ازداد تألقه مع توالي موجات الخراب على حاضرة نكور. وقد اشتهرت بالمبادلات التجارية مع مالقا الإسبانيا. وترجع المزمة إلى العهد الإسلامي. وقد ذكرت عند بعض المؤرخين كابن حوقل على أنها مرسى ضخم كان بمقدوره استيعاب أسطول بحري عظيم، وأنها تقع في جزيرة، في حين نجد البكري يذكرها كأحد موانئ نكور والتي تبعد عنها ب 5 أميال. وكانت المزمة تقوم بمهام جلها اقتصادية وتتمثل في تسهيل المبادلات التجارية مع الضفة المقابلة للمغرب إلى جانب نقل الركاب. قام بعض المؤرخين بتحديد موقعها انطلاقا من مواقع عديدة كنكور وتمسمان وغيرها. إلا أن هذه المرسى ستتعرض، كغيرها من المواقع المعاصرة لها، للتخريب والدمار على يد المرابطين سنة 1080، وإن كانت قد عرفت استمرارا وتألقا بعد تخريب نكور. وستعرف هذه المرسى إعادة بناء وانبعاث في العصر الموحدي، حيث ستصبح أهلة بالسكان وذلك خلال القرن 13م. وستبقى كذلك إلى حدود العهد المريني ليزداد دورها اتساعا من خلال تعاملها مع إيطاليا وإسبانيا. أضف إلى كل هذا موقع (بوزكور) الذي كان مدينة فيما سبق،